

بسم الله الرحمن الرحيم
شهادة في الأستاذ الدكتور حنا حداد أكاديمياً وإنساناً
الحمد لله الذي شرفنا بالقرآن ، وحبانا بأبين لسان ، وكرمنا بابين عدنان ، وجعلنا للعربية
سدنة ، وعلينا حفظة أمنة .
أما بعد : فأزجي التحية تلو التحية إلى العالم الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، وإن
كان فاتني شرف التلمذ عليه .

و أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، شهادة علمتني ألا أشهد إلا حقاً، و أن
لا أقول إلا صدقاً، و أن أعطي كل ذي حق عندي حقه، و أن أبجل من كان للتبجيل أهلاً،
و أن أرد إلى كل ذي فضل علي فضله.

أقف لأدلي بشهادتي في أستاذ جليل، و شيخ أصيل، في هذا المحفل العلمي، و يكتنفي
ما يكتنفي من هيبة الموقف، أقف بين أيديكم و أسترجع من الذاكرة صورة تشكلت قبل
خمس و عشرين سنة حين كنت أخطو خطواتي العلمية الأولى بدائرة اللغة العربية
بجامعة اليرموك الزاهرة، التي تآبى إلا أن تلقي إلينا بأقوانها الريان كل حين بإذن ربها
، و قد ساقني الشوق إلى عقيلة قريش، العربية الفصحى لأنهل من علمها، و أستقي من
معينها ما يعينني على امتلاك ذوابة السودد منها، و كان اللقاء بنخبة من العلماء الأجلاء،
لا أنعتهم بذلك مجاملة و لا تزلفاً، و إنما هذه حقيقتهم، و هذا ديدانهم، يتسابقون في
الخيرات و إليها ، هم الأهل إن بغيتهم و جدتهم ، و هم كنوز العلم إن بحثت عن نفيسه ، و
كان من بينهم شيخ من شيوخ النحو أ.د حنا حداد، درست عليه نحو (1)، و لأصرف، و
كذلك درست عليه في الماجستير بعض مواد اللغة، و كان أكثر ما يأسرني في دماثة
خلقه و تواضعه- رغم اعتزازه بذاته- و حرصه الشديد على الشرح و المخاطبة و
المناقشة بالعربية الفصيحة، فكان خير نموذج يطبق النحو استعمالاً، هو الشاهد الشعري
حياً يسير على الأرض ، و لشد ما يحرص على أن ينمي فينا- نحن الطلاب- روح
النقاش العلمي البناء، و إن خالفناه الرأي، فلا تجده متعصباً لرأي أو منحازاً إلى منهج، و
ما زلت أذكر عبارة كان دوماً يرددتها : "دع صاحب كل منهج يعبر و يجتهد و دع الأمر
للزمان فهو وحده كفيل بأن ينفي الغناء، و يبقى الصحيح".

تمضي محاضرتُه دون أن تشعرَ بالملل، يثير في رأسك التساؤلات، و يدفعك دفعا إلى
المنافسة و التحدي، يُبَسِّط النحو لا يُقَرِّمه ، و يدفعك إلى كتب النحو في تحدٍ خفي يثيره
فيك ، حتى لكأنك تريد أن تباريه في فهم الشواهد ، فهي عنده موضع سؤال.
يدفعك إلى النبع لتنهل دون أن تشعر أنك مكرهٌ على ذلك .
يفرض محبته و هيبته على طلابه، حين يسمح بين الحين و الآخر بطرفة ذات مغزى.

تري في طبيعه سهولةً سهل حوران و سَعَتَهُ و عطاءه، و تسمع في نبرات صوتيه
حفيف الزيتون المائس تيهاً على ضفاف اليرموك كلما هبت نسماة الشمال.

أبواب قلبه الكبير مشرعة للطلاب كما بابُ مكتبه يستقبل مريديه، و يجيب عن أسئلتهم، يلقاها بالدفء الأبوي و النصح العلمي، ينأى بنفسه دوماً عن الفتن و أهلها، و لا يسمح للطلاب بأن يدخلوا إليه من هذا الباب.

تنساب كلمتا بنيتي ، و بني ، اللتان تتصدران حديثه للطلاب- دوماً- دافئتين ، تحملان عبق الأبوّة المعتق ، و صدق الصدق في النصح و التوجيه .

مازلت أحتفظ بمؤلفات له أهداها إلي في 26 / 12 / 1987م، و عليها تلك العبارات التي نقشت في ذاكرتي رؤى للمستقبل مكتوبة باللون الأخضر : " إلى تلميذتي الجادة فلانة مع أصدق الأمنيات، إلى تلميذتي المتميزة علماً و خلقاً مع الاحترام و التقدير، إلى تلميذتي فلانة مع أجمل التمنيات بالتوفيق و النجاح"، عبارات رصع بها صدر كتاب الأضداد، و كتاب الأزمنة و تلبية الجاهلية، و شعر ابن ميادة، و كتاب شرح عيون الإعراب ، نُقِشت في عمق ذاكرتي حافظاً بأن أكون عند حسن ظنه، و ظن كل من توسموا في خيراً من أساتذتي الذين أعطوني و غيري بلا حدود أو قيود و مازلت أذكر أنه كان يلقبني "بقطرب" و بيتسم ، ذاك أنني كنت دوماً أول من يجول متعبداً في محراب القسم، فهو بيتي و قبلي ، و موئلي . فقد كان إذ ذاك يزخر بعلماء حقيقيين، يعطون طلابهم بلا حساب، و يحرصون على أن تكون علاقتهم بهم إنسانية و أبوية بكل ما تعنيه الكلمة. رحم الله من مات منهم ، و أطال الله عمر من بقوا منهم !

من أولئك الرهط الكرام ، أعمدة اليرموك الخالدة أ.د حنا الذي تبهرك أخلاق العلماء فيه، فالموضوعية أحد ثوابته التي ينطلق منها و يبني عليها سياسته التعليمية و العلمية، يعتز بالعربية و العروبة أيما اعتزاز، و يحرص على أن يحببها إلى طلابه، و في مخلص لا ينسى طلابه، و لذلك تراهم يتعلمون منه الوفاء، و ترى أكثر ما يضايقه أن ينتكر له طلابه، أو ينقطعوا عنه بعد أن ينتهي الفصل الذي يدرسهم فيه.

إن للعلماء سماتٍ يستحقون بها منازلهم الرفيعة في قلوب طلابهم، الأولى: الأخلاق، و الثانية: العلم، و الثالثة الموضوعية، و الرابعة: الإنسانية ، و الخامسة: أن يطبقوا في أنفسهم و عليها ما يعلمون و ما يُعلمون، حتى يكون أحدهم يمثل علمه حياً يمشي على الأرض، كل هذه السمات تتجسد في عالمنا الجليل و شيخنا الفهامة أ.د حنا جميل، الذي لا تجد فيه إلا جميلاً، و لا يصدر عنه إلا كل جميل، فمن أكثر ما كان يدهشني فيه نزاهته، و صدقه، و عمله الدائب بصمت، لا تدرك أنه يعمل إلا حين يطالعك بشهد من علمه بين دفتي كتاب محقق، أو بحث معمق، و هو على غزارة علمه و إنتاجه متواضع، لا أذكر يوماً أنه تحدث عن نفسه بـ "أنا"، يتجاهل ذاته ؛ لأنه أكبر من أن تتسع لها الـ"أنا" ، و أكبر من تتحبس في جلده.

و حين تقرأ سيرته الذاتية تبهرك عناوين بحوثه التي ينتقيها من صدف مكنون في أعماق التراث العربي، و تعجب كيف خطرت بباله، فهي ليس من اليسير الذي يمكن اقتناصه بسهولة، و لا يأتي إلا لغواص بارع، عناوين و موضوعات غريبة تحتوي من اللؤلؤ الفريد ما تحتوي، لا يتناولها إلا فهامة غواصة كالأستاذ د.حنا، و هو على جودة

تصانيفه إنتاجه العلمي غزيرٌ فله من الكتب ما بين اللغة و الشعرسة عشرة بحثاً ، و من البحوث العلمية المحكمة عشرون، و من البحوث غير المحكمة ستة، و له تحت النشر أربعة بحوثٍ ، ناهيك عن نشاطه غير الأكاديمي في المنتديات الثقافية و الاجتماعية و التعاونية في مدينة إربد ، وقد كُرم أربع مرات في الأردن، و مصر، و سوريا، و لبنان، و هو - أحسن الله إليه- على كثرة بحوثه و نشاطاته يهتم بطلابه و يدفعهم إلى البحث ، فلا يشغله الارتقاء بعلمه عن الارتقاء بعلمهم .

و كنت إذا كتبت لديه بحثاً أعاده إلي و قد قرأه كلمة كلمة، بل حرفاً حرفاً، معلقاً، و مرشداً، و معزراً، و ما زلت أحتفظ ببحث قدمته إليه في الماجستير بعنوان "الاحتجاج بلغة كنانة و هذيل في ضوء صحيفة أبي نصر الفارابي" و ما زالت تعليقاته و تشجيعاته عليه بالقلم الأحمر، و قد قدر لهذا البحث أن ينشر بتعديلات طفيفة أجريتها عليه في دراسات، 2007.

كان يعلمنا كيف نبحث، و فيم نبحث من أجل أنفسنا، لا من أجل منفعة شخصية له، و قد رأينا بعد هذا الجيل النزيه من بعض حملة الدكتوراه المفلسين ما شابت له الرؤوس من استغلال للطلاب و جهدهم ، ما جعلنا نميزُ بين أهل العلم، و مدعيه، و بين أدب العلماء و تجار العلم و الأدب.

أستاذي الأفخم قدمت شهادتي فيك بضمير الغائب ؛ لتكون موضوعية، و أن الأوان للغائب الحاضر أن ألتفت إليه بالخطاب عند الدعاء و أقول دمت موثقاً للعلماء، و قدوة للفهماء، أحسن الله إليك و جزاك عنا خيراً يا مفخرة من مفاخر الأردن، و متّعك بالبصر و البصيرة، و عافاك و أعطاك ، و نجاك و زاد عطاك ، و سدّد على الصراط خطاك .
شهادة متواضعة تقصر دون ثنائك ، و حسن نثائك ، من ابنتك و صنيعتك ، ربيبة اليرموك إيمان بنت " محمد أمين " الكيلاني ، فسامحني على التقصير.